الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين: مَن قرأها «لن يمكنه أن يرفس المهماز»!

للرسالة الأولى إلى الكورنثيّين أهداف ثلاثة:

١ – تذكير الجماعة كلّها بأهميّة المسيح الذي مات ثمّ قام.

٢ – الإجابة على أسئلة بشأن حياة المسيح في العالم.

٣ – معالجة مسائل تتعلّق بالجماعة المسيحيّة.

تشكّل الرسالتان الأولى والثانية إلى الكورنثيّين، اللّتان حرّرهما بولس، الأولى من أفسس سنة ٥٧، والثانية من مقدونية في السنة عينها، مَعينًا ثمينًا للتعرّف إلى حياة الكنيسة الأولى، يُضاف إلى ما تُزوّدنا به الأناجيل وكتاب أعمال الرسل من معلومات. تفيدنا الأولى عن كيفيّة زرع البشرى في تلك المدينة الوثنيّة العظيمة، وعمّا فيها من عقبات وعثرات. وتخبرنا الثانية عن بولس «الإناء المختار» الذي قام بهذه المهمّة الخلاصيّة الفريدة وما لاقاه من آلام وصعاب وصدمات.

أنشأ بولس كنيسة كورنتس من وثنيّين «اجتذبهم» اللّه، كانوا من «البسطاء» ومن الطبقة التي هي كَلا شيء (١:٢٦–٢٩؛ ٨:٧؛ ١٠:١٤ و٢٠؛ ١٢:٢)، لكن «بهم يخزي اللّه حكمة الحكماء». لكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك مؤمنون من أصل يهودي، لا بل على العكس، وهذا ما يؤكده ما ورد في أع ١٨:٨؛ ١كو ١:٢٢–٢٤؛ ١٠:٣٢؛ ١٢:١٣؛ الخ.

لا يدعو إلى العجب إطلاقاً أن يستمرّ فريق من المؤمنين الوثنيّ الأصل على بعض عاداتهم التي اعتمدوها طريقة عيش، أبًا عن جدّ، وأسبغوا عليها وشاح الرهبة والإجلال، فكان، بالتالي، من العسير جدًّا عليهم التّخلّي عنها، وكان هكذا «الإشراك» أو الموقف التوفيقي أمرًا طبيعيًّا ومقبولاً عندهم، ولكن سبب شكّ وعثار للذين «تركوا كلّ شيء وتبعوا المسيح»، وصاروا متأصّلين في الإيمان.

إن بولس «الذي وَلَد المؤمنين بالمسيح» والذي «يتمخّض فيهم حتّى يتصَوّر المسيح فيهم»، هو أبهى صورة عن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافه، فلا يدع الذئب الخاطف يَمسّ أحدًا بأذى. فلقد وَصَلته أنباء مقلقة من كنيسة كورنتس، وطُرحت عليه أسئلةٌ عَجزَ مؤمنو تلك الكنيسة عن إيجاد حلّ لها، فكانت رسالته البلسمَ الشّافي والعطر المُطيّب للخواطر والنفوس.

تضجّ كلمات بولس بمحبّة ولا أعمق، وعاطفة ولا أسمى، والتزام ولا أصلب، ووضوح ولا أقوى. بها قرّع بحزم تحزّبَ المؤمنين، والشقاقَ في ما بينهم (١:١٠–٤:٢١)، وبها ثار على فجور بعضهم (٥:١–١٣؛ ٦:١٢–٢٠)، ورفض المقاضاة بين الإخوة لدى غير المؤمنين (٦:١–١١)؛ بها أجاب على أسئلة متنوّعة ذات طابع اجتماعي في شأن المتزوّجين والمتبتّلين والعبيد والعازبين والخاطبين والمترمّلين (٧)، وطقسي في شأن ذبائح الأوثان (٨:١–١١:١)، وفي شأن التقاليد في الاجتماع اللّيتورجي (١١:٢–١٤:٤)؛ بها دوّن أبهى لوحة عقائديّة عن قيامة المسيح وقيامة المؤمنين (١٥)، ليُنهي بالدعوة إلى جمع التبرّعات لكنيسة أورشليم (١٦:١–٤)، وبإطلاعهم على خطة سفره إلى كورنتس (١٦: ٥–١٢)، وبتوصيات وتحيّات أخيرة (١٦:١٣–٢٤).

يتبيّن لقارئ الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين أن نور المسيح يسطع في كلّ أرجائها. إنّه المسيح المُشَخصَن الذي بهر بولس بنوره على طريق دمشق، وتغلغل في حنايا قلبه بصوته المستجوب له عن سبب اضطهاده له، والذي به وله يعيش رسول الأمم، فنلقاه معه، لا بل يلقانا هو، في كلّ مفترق من مفارق الرسالة، ملقيًا في أرض كلّ منّا سيفًا فاصلاً، وحربًا تقلب رأسًا على عقب رؤانا البشريّة، وحكمتنا التي من هذا العالم، وتفكيرنا المحدود، وقناعاتنا المبنيّة على الرمل.

هو المسيح، مَن كان شاول يطارده، والذي تجلّى أمام ناظرَي مضطَهِدِه الساقطِ أرضًا، والفاقدِ البصر، والذي لن يدع مختارَه «يرفس بعد الآن المهماز»، ولا الذين من بعده اجتذبهم الآب إليه!

أ. أيّوب شهوان